آريوس وخلافه مع أساقفة المجمع المسكوني الأول325م

د. البهلول علي منصور

كلية التربية غريان/ جـامعة غريان

مقدمة

الحمد لله حمداً يليق بعظيم فضله وسابغ نعمه، والصلاة والسلام على رسوله وعبده، محمد بن عبدالله، وبعد فإن الله خلق الخلق وبعث الرسل لهدايتهم إلى توحيده، إلا أن كثير من الناس لم يسلموا من الافتتان بعقولهم القاصرة، ولم يتخلصوا من أهوائهم وأغراضهم في قبولهم لهدي ربهم ودعوات أنبيائهم؛ فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من ضل، ومنهم من كفر ببعض وآمن ببعض، وإعمال العقل في مصادمة نصوص الشريعة لا شك أنه يوقع في الضلال، وهذا هو حال رجال الكنيسة في الديانة المسيحية، الذين قرروا ألوهية عيسى – عليه السلام –، رغم إثباتهم وعلمهم بالنصوص المصرحة بالتوحيد في أسفار كتابهم.

وقد صدوا كل داعٍ إلى التوحيد في عقيدتهم، ومن هؤلاء الدعاة القس آريوس، الذي خاض مع أساقفة كنيسة الإسكندرية خلافاً استمر لسنوات، وعملوا على استبعاده ووصمه بالهرطقة، والخروج على الكنيسة، ثم دعوا لعقد المجمع المسكوني الأول للبت في دعوته.

ولا تخفى أهمية التوحيد في العقيدة، فالدين يُبنى على العقيدة وهي أسه المتين، ودعوة التوحيد دعوة خالدة في الوحي الإلهي، منذ خلق الله الناس إلى أن ختم النبوة وأتم الدين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ الآية،(النحل 36)، على هذا وقع الاختيار على هذا الموحِد لبيان دعوته وموقف رجال الكنيسة منها، والمآل الذي انتهت إليه.

والإشكالية التي يتصدى لها الباحث، هي بيان حقيقة دعوة آريوس إلى التوحيد، ومدى أصالتها في الديانة النصرانية، التي دعا إليها المسيح عيسى – عليه السلام –، وذلك من خلال الإجابة على سؤال جوهري وهو: ما علاقة العقيدة التي دعا إليها آريوس بالعقيدة التي دعا إليها المسيح – عليه السلام – ؟، وصرحت بها نصوص الأسفار المسيحية، والهدف من هذا البحث إظهار أحقية هذه الدعوة من عدمها.

اطلعت على دراستين للعقيدة الآريوسية الأولى بعنوان: "طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون" وهي دراسة في أربع وستين صفحة، عد صاحبها آريوس من آوائل الموحدين رغم تعصب رجال الكنيسة ضده واتهامه بالهرطقة، كما درس الطائفة الموحدة في الديانة المسيحية حتى القرن التاسع عشر، والدراسة الثانية بعنوان: "كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى"، وهي دراسة تاريخية تحوي سرداً تاريخياً لبدايات المسيحية الأولى، وتتسم بالتحامل الشديد على آريوس وعقيدته، ما تقدم يتيح للباحث دراسة أصالة عقيدة آريوس، في دراسة للنشر تهدف لإنصاف الرجل وإظهار حقيقة دعوته.

وإنجاز هذا البحث تطلب توظيف المنهج الوصفي التاريخي في تتبع الدعوة الآريوسية من بداياتها إلى ما آلَ إليه أمرها بعد المجمع المسكوني الأول سنة 325م، مع استخدام طريقة التحليل للوصول إلى بعض المفاهيم الجزئية لقضايا البحث، من خلال دراسة مكتبية تقوم على تتبع قضايا البحث في مظانها.

وحدود الدراسة الموضوعية هي القس ودعوته، وحدودها الزمانية تبدأ بميلاد آريوس وتنتهي بما ترتب عن المجمع المسكوني الأول سنة 325م، أي أنها تتناول الظاهرة في النصف الثاني من القرن الثالث، والثلث الأول من القرن الرابع الميلاديين، في بيئة تتداخل فيها المسيحية مع الفكر اليوناني الفلسفي الوثني.

وهيكلية البحث تتألف من مقدمة ومبحثين وستة مطالب وخاتمة وفق الخطة الآتية:

المقدمة: نضمنت ما تقدم وخطة البحث.

المبحث الأول: آريوس وبطريركية الإسكندرية.

المطلب الأول: نشأة آريوس وحياته.

المطلب الثاني: تعاليم أريوس.

المطلب الثالث: خلافه مع بطريرك (لرجال الكنيسة مراتب كهنوتية، وفق الترتيب التصاعدي الآتي: 1. شماس. 2. قسيس(قس). 3. أسقف. 4. مطران. 5.بطريق(بطريك أو بطريرك). 6.بابا. خالد، 1986م، ص611) **كنيسة الإسكندرية.**

المبحث الثاني: آريوس والمجمع المسكوني الأول.

المطلب الأول: انعقاد المجمع المسكوني الأول.

المطلب الثاني: أهم قرارات المجمع.

المطلب الثالث: نتائج خلاف المجمع مع الآريسيين.

حاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث والتوصيات.

المبحث الأول: آريوس وبطريركية الإسكندرية

المطلب الأول: نشأة آريوس وحياته.

إذا أُنعم النظرُ في العقيدة التي دعا إليها جميع رسل الله وأنبيائه – عليهم السلام –، من لدن آدم– عليه السلام – إلى نبينا محمد – عليه الصلاة والسلام –، يظهر أن عقيدة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه دعوة أنبياء الله لأممهم إلى الإيمان بالله تعالى، ويشهد بهذا شاهدان: الأول: نصوص الكتب المنزلة على أولئك الأنبياء، رغم ما لحق ببعضها من تحريف، والثاني: ما سجله لنا التاريخ من دعاة وفِرَق دعوا إلى توحيد الله وردوا ما عارضه من عقائد، منهم القس آريوس، وهو من أتباع نبي الله عيسى– عليه السلام–.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾، (الأنبياء 25)، ورد في العهد القديم: "إنك قد أُريت لتعلم أن الرب هو الإله ليس آخر سواه"،(التثنية 35:4)، وورد: "ليعلم كل شعوب الأرض أن الرب هو الله وليس آخر"،(الملوك الأول 8: 60)، وورد أيضاً: "أنا الرب وليس آخر، لا إله سواي"، (إشعيا 45/ 5)، كما جاء في العهد الجديد: ومنه ما ورد على لسان المسيح – عليه السلام – في صلاته لله: "وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته"، (إنجيل يوحنا 3:17)، كما ورد على لسان الحواري يعقوب(يعقوب بن زبدى أخو يوحنا الحواري، وهو أول أسقف لكرسي أورشليم. أبو زهرة،1961م، ص70) : "أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل"، (يعقوب 2:19).

ما تقدم ذكره أمثلة على النصوص المصرحة بالتوحيد، التي أوحى الله بها لأنبيائه ومع هذا مال بعض القوم إلى مقولات تفيد التعدد في الذات الإلهية؛ ومنه قولهم بالتجسد والحلول والاتحاد والتثليث، وعقدوا لتقرير هذه الدعاوى المجامع الكنسية (جمع مجمع Councll وهو اجتماع

للأساقفة أوقادة الكنيسة يهدف لإيجاد حل لمشكلة ما، ويصدر عنه قانون إيمان (Creed) عندما تكون المشكلة عقدية. هيل، 2012م، ص346)، وعدوا مَن رد ما ذهبوا إليه خروج على الدين، وردة عن دعوة المسيح – عليه السلام –، ورداً لوحي الله وهرطقة (الهرطقة heresy كلمة إغريقية الأصل غامضة معناها الخروج على مجموعة الأفكار الدينية التي يؤمن بها السواد الأعظم من الناس في مجتمع ما و زمن ما. عوض، 1997م، ص7)، وقرروا حرمانه، أي طرده من الكنيسة، وقد يستباح دمه لكفره برأيهم، وهذا ثابت في تاريخ الكنيسة.

ولد أريوس Arius سنة (250م) (خليل، 2010م، ص52) أو 270م في قورينا ليبيا، (رستم،2021م، 219/1) لأبوين ليبيين، ثم سافر إلى الإسكندرية ودخل المدرسة اللاهوتية بها وتقدم في علومها وتميز بفصاحته' (يوحنا،1977م، ص208م) " ولد ونشأ في عائلة مسيحية أم وثنية، لا نعلم عن ذلك شيئاً؟ كل ما نعرفه هو أنه ليبي الجنسية درس اللاهوت في مدرسة أنطاكيا على يد المعلم لوقيانوس (ولد في مدينة سميساط على الفرات في شمال سوريا، كاهن وعالم في أنطاكية عاش في القرن الثالث، تأثر بإراء بولس الشمساطي اللاهوتية، استشهد سنة 312م في نيقوميذية. رستم،2021م، 169/1) ... ثم جاء إلى الإسكندرية ورُسِم هناك شيخاً في كنيسة بنكاليس ...". (الخضري،1981م، 4/ 618، 619).

في رحلته إلى أنطاكية لتلقي العلم التقى زميله أوزيبيوس النيقوميدي،(أسقف نيقوميديا القسطنطينية 338م–341م، وكان آريوسياً. موسوعة ويكيبيديا، محررو الموسوعة، يوسابيوس النيقوميدي. 9. 8. 2024م، 7.55م) الذي شاركه الدراسة على لوقيانوس، وبدأ ينشر آراءه قبل 320م بعد عودته إلى مصر، وكانت آراؤه تتصل بمذهب بولس الشمساطي،(تولى أسقفية كنيسة إنطاكية حوالي 260م– 265م، اتهم بالهرطقة لاعتقاده أن المسيح – عليه السلام – مجرد إنسان. القيصري، 1998م، ص334) رغم أن آريوس يذكر أنه تلقاها من القديس لوقيانوس الأنطاكي.(غرديه، قنواتي،1997م، 2/ 286).

"كان آريوس تلميذاً للمدرستين في آن واحد، فقد تلقى تعليمه أولاً في الإسكندرية وتشرب مبادئها مستقياً إياها من أستاذها الأشهر أوريجن Origons (حوالي185–254) (أوريجن أو أوريجانوس ولد في الإسكندرية من أب مسيحي، ودرس بها، درس أسفار العهدين وهو لاهوتي متميز، إلاَّ أنَّ كتبه أُتلفت بتهمة الهرطقة سنة 553م، بعد وفاته في ظروف غامضة في صور... هيل، 2012م، ص41–51) (حوالي185–254)، ثم انتقل بعد ذلك إلى أنطاكية، وتتلمذ على يد أستاذها لوقيانوس. ونهل من معين أفكاره، حتى لقد قيل إن مدرسة أنطاكية هي موطن الآريوسية". (عبد الحميد،1996م، ص53).

"وكان آريوس فيما يظهر عالماً زاهداً متقشفاً، يجيد الوعظ والإرشاد، فالْتَفَّ حوله عدد من المؤمنين ولاسيما عذارى الإسكندرية اللواتي نذرن أنفسهن للعمل الصالح، فأصبحن فخر كنيسة مصر، وانضم إلى هؤلاء عدد كبير من رجال الإكليروس،(الإكليريكيون جمع الإكليريكي، وهو رجل الدين النصراني. البعلبكي،1992م، ص184) الذين وجدوا في وعظه غذاء للنفوس، فآثروا الإصغاء إليه على الرغم من التخالف في التعليم بينه وبين الأسقف رئيس الكنيسة".(رستم،2021م، 220/1).

يظهر تنوع نشاط آريوس في الدعوة إلى عقيدته من مناظراته لرجال الدين وكتابة المصنفات وصياغة المنظومات، التي ترنم بها أتباعه من عامة الناس، فقد "نشر أريوس أراءه الدينية مستثيراً المناقشات الفلسفية الدينية العلنية، وقد وجد في النساء العذارى عوناً له، ساعدنه في مهمته، وقد تحمسن له ودافعن عن أفكاره حتى الدم. واستعان آريوس، لترويج مبادئه وتعاليمه، بأساليب كثيرة منها باب الأنغام لمنظومات شعبية وضعها مشبعة بتعاليمه، ينشرها ويترنّم بها الشعب في تطوافات ليلية في ضوء المشاعل".(موقع المعرفة، آريوسية،19 .9. 2024م. 12.40ص).

وصف الرجل بالزهد والتقشف ذكرته عدد من المراجع، (هذا ما تكرر ذكره في عدد من المراجع المدرجة في هوامش هذا البحث) كما وُصف أنه مؤثر في خطبه ومواعظه، وهذا أمر يؤشر على صدقه ويكشف ثباته على ما يراه حقاً، وتحلله من الأهواء والأغراض، التي قد تحيد بصاحبها عن الحق والصدع به، وتحمل تبعات هذا الموقف الإيماني النبيل، وإن حاول مخالفوه الانتقاص منه ووصفه بالهرطقة.

وقد "ألمّ آريوس بثقافة فلسفية واسعة ودينية عالية أهّلته لأن يصبح مفكراً عميقا، خطيباً لامعاً، وكاتباً بليغاً ومعلماً في فن الفصاحة والجدل، فنجح في إشاعة الفكر المسيحي بين عامة الشعب...، وأدخل إلى اللاهوت النهج العقلاني مستخدماً في عرض الإيمان وتفسيره المناهج الفلسفية التي اجتاحت الأوساط المسيحية آنذاك. وبتأثير منه ومن مدرستَي أنطاكية والإسكندرية انتشرت المناقشات والمجادلات الفلسفية بين الأساقفة والكهنة وعامة الشعب، وقد سيطرت على الجميع الرغبة في عرض أسرار الديانة المسيحية عرضاً عقلانياً".(موقع المعرفة، آريوسية، 19. 9. 2024م، 12.41ص).وهكذا تكامل نضج آريوس الفكري وإحاطته بالعلم الذي يخدم دعوته في أهم مدرستين في عصره، وبدأ في نشر العقيدة المسيحية التي كان عليها، والرجل ليس ملماً فقط كما تقدم وصفه في الفقرة السابقة، وإنما كان متمكناً وضليعاً فيما يدعو إليه، ولم يستطع

خصومه من رجال الكنيسة تفنيد دعواه والرد عليه بالحجة والبرهان، واستمر نشطاً في دعوته ثمانية عشر عاماً في الفترة من318م إلى 336م تاريخ وفاته.(عبد الحميد،1996م،ص88).

والراجح أنه أُغْتِيل ويؤيد هذا " الحالة التي وجد عليها أريوس في ميتته، فيذكر[سقراط] (سقراط القسطنطيني مؤرخ مسيحي روماني ولد سنة380م، ألف كتاب (التاريخ الكنسي)، تكلم فيه عن تاريخ المسيحية من 305م إلى439م. موسوعة ويكيبيديا، محررو الموسوعة، 9. 10. 2024م. 8.48ص) ما أن ذهب لقضاء حاجته حتى أصيب بدوار عنيف، بينما صحب الغائط نزيف حاد، ... فمات لساعته"،(عبد الحميد،1996م،ص56)، ويطرح كاتب بحث (اغتيال آريوس)، (هو رأفت عبد الحميد، باحث مصري (1942م–2001م)، تحصل على دكتوراه الفلسفة 1974م،ألف ثمان كتب. مركز بحوث الشرق الأوسط1967م، رأفت عبد الحميد، 9. 10. 2024م. 8.57ص) أن من قام باغتيال آريوس هم بعض الأساقفة من أنصار الآريوسية بزعامة يوسابيوس النيقوميدي، (أسقف نيقوميديا القسطنطينية كان أسقف بيروتاس (بيروت) في فينيقيا ثم نيقوميديا، وأخيراً القسطنطينية من338م حتى وفاته 341م، وهو من عمّد قسطنطين الأول (الكبير) سنة وفاته. موسوعة ويكيبيديا، محررو الموسوعة. 9. 10. 2024م. 9.6ص) لاستنكافهم عن إتباع قس أدنى منهم في الرتبة الكهنوتية.

الطرح المتقدم يؤيده ما أصدره هؤلاء الأساقفة سنة 341م، ونصه: "لم نكن في يوم ما أتباع!! إذ كيف يُعقل ونحن أساقفة أن نهتدي برشد قسيس؟! لم نبدّل الإيمان منذ الإيمان في البدء كان، ولقد وضعتنا المقادير قضاة فكرة، فراقنا الصدق فيها، ولكن أيعني ذلك أنا عنه أخذنا ؟!".(عبد الخميد،1996م، ص72).

و"لم تبق أي من كتابات أريوس الشخصية، لذا تُعد مسألة جمع المعلومات حول نشأته أو حتى معتقداته مهمة صعبة، حيث أمر الإمبراطور قسطنطين بحرق كتابات أريوس، وأريوس لا زال حيًّا، وحتى التي بقت بعد وفاته، دمّرها خصومه من الأرثوذكس. ولم يستدل على أي شيء من محتويات كتاباته إلا من خلال ما كتبه رجال الكنيسة عن أفكاره التي هاجموها...".(موسوعة ويكيبيديا:17. 7. 2024م، 9ص).

المطلب الثاني: تعاليم أريوس

يعتقد آريوس" أن الله واحد فرد غير مولود، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى. فكل ما كان خارجاً عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء بإرادة الله ومشيئته. أما "الكلمة" فهو وسط بين الله والعالم. كان ولم يكن زمان، لكنه غير أزلي ولا قديم. بل كانت مدة لم يكن فيها "الكلمة"

موجوداً. "فالكلمة" مخلوق. بل إنه مصنوع، وإذا قيل "مولود" فبمعنى أن الله "تبناه".". (غرديه، قنواتي،1997م، 2/ 287).

وعقيدة الألوهية حسب اعتقاد الكاهن آريوس، وما كان يُعلِّم به إجمالها في الآتي (عبد الوهاب ا،1987م، ص15،16) :

1. الله، الواحد الأحد، القائم وحده، موجِد لا يحتاج للإيجاد، لم يولد.
2. إنَّ كلمة، يلد، هي مرادف كلمة يخلق، وغير هذا المفهوم مدمر للطبيعة الإلهية.
3. إنَّ جوهر الله غير مخلوق، ولا يتصل بأحد من خلقه، والقول بالاتحاد في الجوهر، يترتب عنه تعدد الآلهة.
4. الابن لكونه مخلوق لا علاقة له بالصفات الإلهية.

ولاقت تعاليم آريوس قبولاً في عصره، "فقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأي. وعلى رأسها ميليتوس' (أسقف كنيسة أسيوط، زمن ولاية البطريرك بطرس كنيسة الإسكندرية. يوحنا، 1977م، ص213) وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين في العدد أقوياء في المجاهرة بما يعتقدون، كما تبعه خلق كثير في فلسطين ومقدونية والقسطنطينية، وذلك على الرغم من أن كنيسة الإسكندرية لم تَألُ جهداً في محاربته ومحاربة آرائه، وعلى الرغم من حكمها عليه بالطرد من الكنيسة".(وافي،2001م، ص125).

ومن رجال الدين الذين كانوا على عقيدة آريوس، "أفسابيوس أسقف نيقوميذية، وأفسابيوس أسقف قيصرية فلسطين، وباتروفيلوس أسقف بيسان، وآيتيوس أسقف اللد، وبافلينوس أسقف صور، وغريغوريوس أسقف بيروت، وثيودوتوس أسقف اللاذقية، وأثناسيوس أسقف عين زربة في قيليقية،...".(رستم،2021م، 221/1).

ومؤدى العقيدة الآريوسية أن المسيح عيسى – عليه السلام –، وهو تجسد للكلمة في اللاهوت المسيحي، " أن "الكلمة" غير معصوم طبعاً، ولكن استقامته حفظته من كل خطأ وزلل. فهو دون الله مقاماً، ولو كان معجزة الأكوان"،(غرديه، قنواتي،1997م، 2/ 287). والعقيدة الآريوسية هي أقرب إلى التوحيد رغم ما يشوبها من قصور، ومنه أن الله اتخذ المسيح أداة لخلق العالم، ولا يُعلم مستند آريوس في ذلك، هذا على فرض صحة ما نسب إليه خصومه.

وقد ذهب رجال الكنيسة الذين خالفوا آريوس إلى طرح غير منطقي يساوي بين الواحد والاثنين، يجمع بين القول بتوحيد الله، وألوهية المسيح – عليه السلام –، وأجهدوا أنفسهم في الدفاع عن هذه العقيدة (المستقيمة) بزعمهم، ولا سند لهم في الشق الثاني من دعواهم، إلا بعض

التأويلات والنصوص المنقطعة السند، التي كُتبت بعد فقدهم للمسيح – عليه السلام –، (مثلاً: إنجيل متى وهو الإنجيل الأول، كُتب بين 85م– 150م، حسب ما تذكر المصادر. عبد الوهاب ج، 1988م، ص62) ومع هذا أثبتوا ما ذهبوا إليه في ظل سلطان مؤيد لهم.

"ولقد كان مذهب آريوس مكتملاً في مواده وأصوله منذ ظهوره. وهو يقوم أساسه على إنكار اللاهوت في المسيح وتصوره إنساناً محضاً مهما كان عظيماً. ولذلك أجمع الآباء في نِيقِيَة على تكفيره وعلى الاعتراف بأن المسيح إله وأنه " هُمُوُوسُيوس" أي "مساو" مع الآب " في الذات والجوهر". والواقع أن هذه اللفظة اليونانية لم ترد في الكتاب المقدس،...".(غرديه، قنواتي،1997م، 2/ 286)، وظاهر البعد الفلسفي الوثني للغة اليونانية.

"انتشرت أفكار آريوس لأنها بسطت الفكرة اليونانية المعقدة بشكل مثير عن الله باعتباره "الوالد" وَضعتْ حدّاً للتعاليم المبهمةِ التي سادت في الكنيسة حتى عصر آريوس Arius فأصبحت العقيدة عند الرجل غير المتخصّص والبسيط والمثقّف والمتعلّم على حد سواء، وأصبحت المسيحية مفهومة".(متولي، 2014م، ص294).

ما كتبه بعض اللاهوتيين (اللاهوت أو علم اللاهوت هو الدراسة المنهجية للطبيعة الإلهية، وعلى نطاق أوسع العقيدة الدينية. موسوعة ويكيبيديا، محررو الموسوعة، 11. 10: 2024م. 6.42ص) ومنهم آريوس حول (الكلمة) في اصطلاحهم، وهي برائيهم كلمة الله حلت في المسيح– عليه السلام – وهي (اللوغوس) (اللوغوس Logos هي كلمة يونانية تعني "كلمة"، "النطق"، "كلام"، "مبدأ" ...إلخ، في فلسفة العالم القديم، كانت تستخدم لوصف إله أقل منزلة، يتوسط بين الإله الأعلى، والعالم، وهو مَن يُبقي على العالم سائراً بشكل جيد. هيل، 2012م، ص352). أو عقل الله، ليصبح المسيح هو الأداة التي خلق الله بها الكون أو الوجود وأوكل إليها مهمة إدارته، ويرون أن الله لعظمته متسامي ولا يتصل بالعالم، وأن الكلمة هي أداته للاتصال بالعالم. (هيل، 2012م، ص،20، 36،56، 57،). ما تقدم يظهر فيه أثر (الأفلاطونية المحدثة) (هي فلسفة إغريقية دينية، أو دين مفلسف، ذهب إلى احتواء المعتقدات السائدة، والأساطير والطقوس وعبادات الشرق. الحنفي، 2010م، 163/1)، وهي فلسفة أفلوطين (أفلوطين مصري، (205م–270م)، ولد ببلدة ليقوبولس بمصر العليا، درس الفلسفة في الإسكندرية، وارتحل إلى روما ودرّس بها، أساس فلسفته أنه طوّر مفهوم الخير عند أفلاطون باعتباره المبدأ أو العلة الأولى، لأنه مبدأ كل شيء، ومفارق لكل شيء،...والله يتجاوز ويعلو على كل وجود، وفيوضه أزلية، تصدر عنه أو تشرق منه، ... . الحنفي، 2010م،

165،166/1)، ومن شايعه، الذين يقولون أنهم أفلاطونيون. (أفلاطون (427- 347ق.م)، ولد بأثينا وتتلمذ بمدرستها على يدي سقراط، وأسس مدرسته 270ق.م، واستمر بالتدريس حوالي عشرين سنة. الحنفي، 2010م، 157/1، 158) .

واللاهوتيون المسيحيون في قولهم بالتجسد، أي حلول الله في المسيح – عليه السلام – لهم مذاهب ثلاثة: الأول: أن الله حل في جسد المسيح – عليه السلام –، والثاني: أن من حل في جسد المسيح – عليه السلام – هو الإله الابن المتولد عن الذات الإلهية، والثالث: أن الحال في المسيح – عليه السلام – هي كلمة الله أو الله الكلمة، وهي بزعمهم عقل الله، ولا يخفى الاضطراب والخلط في هذا الطرح، ما يجعله متهافت لا يثبت أمام الفحص والنقد.

ولعل تعدد المذاهب واختلافها في مسألة عقدية تتعلق بالذات الإلهية، مؤشر على ضلال القوم، ومعلوم أن العقيدة مستندها النصوص القطعية ثبوتاً ودلالةً، وهذا ما يفتقده القوم في نصوص أسفارهم، فهي منقطعة السند باعترافهم، كما أنها لا تدل دلالة قطعية على بعض مذاهبهم في هذه المسألة العقدية، رغم تصرفهم فيها،(الهندي،2002م،ص42-66، الكّلام، 2009م، 73، 269)، والقول بتجسد عقل الله في جسد المسيح – عليه السلام –، معناه أن عقل الله فارقه وصار سبحانه بلا عقل، تعالى الله عن هذا الضلال علواً كبيراً.

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾،(آل عمران45). ﴿بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾، "بمولود يحصل بمجرد كلمة "كن" "، (الحمصي، ص55)، قال شأنه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، (يس82)، وقال العليم الخبير في حق عيسى المسيح – عليه السلام – : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾،(آل عمران95)، هذه الآيات هي الكلمة الفصل في خلق عيسى – عليه السلام – النبي الإنسان، وهذا الاعتقاد ما كان عليه أتباعه زمن بعثته، وقبل عصر اللاهوتيين وكتابتهم.

ورد بإنجيل متّى (21 : 10، 11) أن المسيح – غليه السلام= "ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: " "مَن هذا ؟" * فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من الناصرة"، كما ورد في إنجيل متّى (13 : 57) أن المسيح – عليه السلام– قال مستغرباً إعراض بني إسرائيل عن دعوته "ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته"، وورد في إنجيل يوحنا (9 :17) قالوا: أيضاً للأعمى: " ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتح عينيك؟". فقال: "إنه نبي"!".

ما تقدم من نصوص شواهد صريحة على بشرية عيسى – عليه السلام – ونبوته، ومنها ما هو منسوب إليه، وكذلك وصفه معاصروه، ليأتي رجال الكنيسة في القرن الرابع الميلادي ويقررون ألوهية المسيح – عليه السلام –، ما ذهب إليه رجال الكنيسة مردود عقلاً ونقلاً، وثابت بطلانه من نصوص أسفارهم، ولا يبقى لهم إلا المكابرة والضلال، والاستدلال بنصوص الأسفار المسيحية المنقطعة هو من باب إلزام القوم بمقتضى دعواهم، فهم يعتقدون بكون الأسفار وحي إلهي، فهي في حقهم حجة، ودليل قاطع.

المطلب الثالث: خلافه مع بطريرك الإسكندرية

أرى في البدء التأكيد على قضية جوهرية، أن رجال الكنيسة المسيحية في صراعهم مع مخالفيهم يظهرونهم خارجين عن العقيدة المسيحية المستقيمة ومهرطقين، وإن كانوا دعاة توحيد، مؤمنون بدعوة عيسى – عليه السلام – كما هي في توراة موسى وإنجيل عيسى – عليهما السلام – قبل أن يلحقهما التصرف على أيدى رجال الدين، ولازال عدد من نصوص الأسفار المسيحية شاهدة بعقيدة التوحيد.

فقد ورد في العهد القديم: "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد"،(التثنية6:4)، وسأل يهودي المسيح – عليه السلام –: "أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد"،(مرقس12:28،29)، كما ورد في دائرة المعارف الأمريكية، ما نصه: "لقد بدأت عقيدة التوحيد –كحركة لاهوتية – بداية مبكرة جداً في التاريخ، وفي الحقيقة الأمر فأنها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين". (عبد الوهاب ب،1980م، ص9).

"ظهر آريوس بعد ذلك في أوائل القرن الرابع وأنكر ألوهية المسيح حيث قال أنه ليس من ذات الله وأنه مسبوق بالعدم ضرورة لأنه مولود" (ابن البطريق،1876م، ص146)، "وغير مساو للآب في الجوهر وأنه لم يكن أزلياً وهو دون رتبة الألوهية ويسمى مجازاً ابن الله وحكمته وقوته"(كسّاب،1998م، ص41)، وأنه جائز الوجود وأن الحكمة في وجوده هي لكي يكون واسطة لإنقاذ العالم من الخطية ...".(أفندي، 1876م: ص146).

نشط آريوس وعدد من الدعاة معه في الدعوة إلى عقيدتهم، " وتمكن آريوس بدهائه وفصاحته أن يجذب إليه بعض الأنصار فكانوا يجادلون المؤمنين في شوارع الإسكندرية ويصرخ الواحد منهم في وجه الآخر قائلاً "يا هرطوقي من الأكبر. الوالد أم الولد" وآخر يقول "هل من

المعقول أن يوجد ابن قبل ولادته" فبالطبع لم يفهم هؤلاء البسطاء السذج أن لفظة ابن نسبية مجازية بل اتخذوها حرفية...".(أفندي، 1876م، ص146).

ما تقدم يظهر فيه تحامل كاتبه على دعاة الآريوسية؛ فهو يصف آريوس بالدهاء، لينتقص من قدرته على الإقناع، ويصف الآخرين بأنهم كانوا يصرخون عند مجادلتهم لمحاوريهم، ولو كان الحال كما يصف، لإنفض الناس من حولهم، ولم تنتشر دعوتهم في أتباع الكنيسة ورجالها، بل وعدد لا بأس به من أساقفتها الذين تقدم ذكرهم، وإما نعثه لهم بالسذج، فأن الأولى بهذا الوصف هو من يغالط العقل والمنطق، ويدعي بأن الواحد يساوي أثنين مرة، ومرة يساوي ثلاثة، وهذه الدعاوى لسان حالهم فيها يشير إلى أن المسح – عليه السلام – وحواريوه غفلوا عن بيان العقيدة، لتقررها الكنيسة في القرن الرابع الميلادي.

"فحاول الأسقف بطرس [بطريريك الإسكندرية] اقناعه [أي آريوس] عبثاً ليعود إلى الإيمان القويم ثم قطعه وابسل بدعته" (كسّاب، 1998م، ص41،42)، ثم تولى من بعده ألكسندروس (من مواليد الإسكندرية، تولى بطريركية الإسكندرية سنة 313م، في عهد قسطنطين. القمص جورج، 2005م،، ص9) " وجمع الأساقفة الموجودين في الإسكندرية سنة 319م، وبعد فحص تعليم أريوس ... حكموا عليه بأن يقلع عن هذا الانحراف ... ولما لم يستجب آريوس، رأى البطريرك ألكسندروس أن يعقد مجمعاً ثانياً مؤلفاً من مائة أسقف سنة 321م وحكم بقطع أريوس من الكهنوت وحرم بدعته ومن تبعه، ووقع الأساقفة ماعدا أسقفين و11 شماساً، فقطعهم البطريرك وصدق على قرار المجمع المقدس".(جورج، 2005م، ص9).

سافر بعدها آريوس إلى فلسطين ثم إلى نيقوميديا، التي عقد أسقفها مجمع محلي رفع فيه الحرم عن آريوس، وراسل بعدها آريوس أسقف الإسكندرية برفع الحرم الذي اتخذه سابقاً في المجمع المحلي بالإسكندرية إلا أنه امتنع، وصنف أريوس كتابه "الثالية" Thalia، ضمنه عقيدته، وبدأت دعوة آريوس تلاقي قبولاً في الشرق المسيحي، ويعود وجماعته بعدها إلى الإسكندرية وينشطون في الدعوة إلى عقيدتهم، ليتدخل الإمبراطور في مرحلة لاحقة ويرسل أسقف قرطبة لحل الخلاف، ثم يتطور الأمر لعقد مجمع مسكوني للبت في موضوع الخلاف على مستوى كنائس الإمبراطورية.(رستم، 2021م، 1/221-224).

يظهر للمطّلع على خلافات القوم العقدية المتعلقة بطبيعة المسيح – عليه السلام– أنها بدأت مبكراً بعد فقده، فقد اختلف الحواريون مع بولس الطرسوسي (ولد بطرسوس بتركيا، من عائلة يهودية، درس قي أنطاكية في عصر ازدهرت فيه المدارس اليونانية بالمدينة، والتي كان

أساتذتها ينتمون إلى المذهب الرواقي، وهو يهودي فريسي متعصب، أصبح أحد رسل المسيح – عليه السلام – بعد فقده، وقُتل في اضطهادات نيرون66 أو 67 م . سفر أعمال الرسل(39:21)،(3:22)،(6:23). نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، 2005م، ص575).

واستمرت خلافات رجال الكنيسة في مرحلة لاحقة مع بولس الشمساطي، وسابليوس، (أحد أساقفة بطلومايس بالخمس المدن الغربية(ليبيا). يوحنا، 1977م، ص93) "الذي كان ينكر تمييز الثلاثة الاقانيم (جمع أقنوم، وهي لست عربية، بل سريانية، تدل على مَن له تمييز(distinction) عن سواه بغير انفصال عنه؛.... فكل أقنوم، مع أنه له تميز عن الأقنومين الآخرين، لكنه غير منفصل عنهما؟!. كندل،2005م، ص385) في اللاهوت قائلاً أنه توجد ثلاثة أسماء لإله واحد مخترعة لتبيان مفاعيل اللاهوت ...، وكان مذهب أريوس كأنه شرح لتعليم سابليوس فذهب إلى أن الابن مختلف عن الآب، (الله الآب مصطلح مسيحي يشير إلى الله الذي به كان كل شيء ولهذا هو بذاته الله وإن كان هو أول الأقانيم الثلاثة في الثالوث. يظهر التناقض في هذا التعريف فهو الله وهو ذاته أقنوم من الأقانيم. موسوعة ويكيبيديا، محررو الموسوعة، 11. 10. 2024م. ً7.28ص) في الجوهر وأنه (أي الابن) أول وأشرف كل ما خلقه الآب من العدم وأنه الواسطة التي كون بها الكون". (يوحنا، 1977م، ص209،208).

وهو يعتقد أن "للمسيح معرفة محدودة ولا يستطيع أن يعلن لنا الآب بصورة كاملة وواضحة، ولأنه مخلوق إلهي فإن الله قد منحه اختياراً في أن يسلك طريق الصلاح ..." (متولي، 2014م، 192)، وآريوس ينكر قول رجال الكنسية بالحلول والاتحاد ويقول: "إن المسيح – عليه السلام – عبد مرسل كسائر الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، فوافقهم على لفظ الأب والابن والروح القدس، ولا يفسر ذلك بما يقوله منازعوه من الحلول والاتحاد ...".(ابن تيمية، 2002م، 452/1).

المبحث الثاني: آريوس والمجمع المسكوني الأول 325م

المطلب الأول: انعقاد المجمع المسكوني الأول 325م

انعقد المجمع في مايو أو يونيو سنة 325م، (شلبي، 1983م، ص195) "وكان الداعي لانعقاده انتشار بدعة آريوس الهرطوقي واضطراب الكنيسة وانزعاج المؤمنين بسببها. فكتب القديس الاكسندروس بابا الإسكندرية إلى الملك قسطنطين الكبير طالباً منه عقد مجمع مسكوني لفض هذا النزاع وتقرير مسائل أخرى مختلف عليها وذهب أسيوس أسقف قرطبة إلى الملك

وطلب منه نفس الطلب فارتضى قسطنطين وكتب منشوراً يستدعي فيه جميع أساقفة المملكة للاجتماع في مدينة نيقية (مدينة قديمة في بيثنيا آسيا الصغرى على بحيرة أسكانيان، وهي الآن واقعة في شمال غربي تركيا. مجموعة من العلماء والباحثين، 1999م، 516/25) ...."(يوحنا، 1977م، ص191).

واختلفت المصادر في عدد مَن حضر المجمع؛ فقد جاء في بعضها أنَّ من حضر ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً (أفندي،1876م: ص148) يساعدهم جمع من القسس والشماسة (كسّاب، 1997م، ص41، ديورانت،1998م، 394/11)، وورد في مصدر آخر أنَّ عددهم كان ألفين وثمانية وأربعين أسقفاً، وأنَّ الثلاثمائة وثمانية عشر، هم المؤيدون لألوهية المسيح منهم، (ابن البطريق. 1905م: ص126) وذُكر في مصدر أنَّ عدد الحاضرين ما بين 300و520. (الخضري، 1998م، 1/ 627).

ولعل الأظهر في عدد الحاضرين للمجمع هو الأول، ذلك للقرائن الآتية: الأولى: كون الدعوة إلى المجمع كانت دعوة عامة ولم تخصص، فتنادى لها رجال الكنائس، الثانية: الموضوع المراد بحثه موضوع جوهري في العقيدة المسيحية، ما يجعل الجميع حريص على المشاركة، الثالثة: استمرار المناظرات والمحاورات فترة طويلة حوالي تسعين يوماً (كسّاب، 1998م، ص42)، دون الوصول إلى رأي راجح أو رؤية مشتركة، وهذا يدل على كثرة المشاركين وتعدد آرائهم.

وذكر ابن البطريق (مؤرخ مسيحي، (263هـ- 328هـ)، عاش بمصر، وتولى بطريرك الإسكندرية. موسوعة ويكيبيديا، محررو الموسوعة، 19 .8. 2024م، 9.00م) آراء الأساقفة المشاركين في المجمع، ومنهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفاً يقولون بتأليه المسيح، وهي مقالة بولس (ابن البطريق، 1905م، ص126)، "ووضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا فيها ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين..." (ابن البطريق، 1905م، ص126،127).

يظهر أنَّ الإمبراطور قسطنطين ترك المجتمعين يتحاورون للتوصل إلى إقرار رأي يتفق الجميع على الالتزام به، إلا أنَّ هذا لم يتحقق، وهو ما أثار استغراب الرجل، رغم استمرار الحوارات والجدل زمناً ليس بالقصير، وهو حوالي الثلاثة أشهر، مما اضطره للتدخل بسلطته الأدبية ونفوذه السياسي، واختار ثلاثمئة وثمانية عشر أسقفاً الذين يميل إلى رأيهم، الذي سبق وأنْ أقنعه به أسقف قرطبة، وفوَّض هؤلاء الأساقفة باتخاذ القرار الذي سيعتمده المجمع (ديورانت،

1998م،387/11، يوحنا،1977م، ص193)، ومن ثم يعمم وتُلزم به كنائس الإمبراطورية جميعها، ويُحرم ويُلغى ما عداه، وهو ما تم بالفعل.

تدخلت السلطة السياسية في المجامع المسيحية، وهذا ما نوه به مختص من القوم (هو: الارشمَندريت حنانيا إلياس كساب مؤلف كتاب(مجموعة الشرع الكنسي)، وصفحاته تزيد عن الألف) بقوله: "إنَّ المجامع المسكونية السبعة دُعيت إلى الاجتماع بأمر ومشيئة الملوك والحكام ذوي السلطة المدنية وبدون معرفة البابا على الأقل من جهة المجمع القسطنطيني الأول وبدون استشارته عند دعوة المجمع النيقاوي الأول ... ومن هذا لنا البرهان التاريخي أن المجامع المسكونية كان في الإمكان دعوتها وعقدها بدون معرفة ورضى كرسي رومة" (كسّاب، 1998م، ص11)، وتدخل السلطة السياسية في شؤون الكنيسة بدأ مع صدور مرسوم ميلانو سنة 313م، (أصدره الإمبراطور قسطنطين اعترف فيه بالديانة المسيحية. القيصري، 1998م، ص420) وقد ظهر اتجاه في المسيحية يربط الكنيسة بالدولة، ويرى أن رئيس الدولة هو أيضاً رئيس الكنيسة. (هيل،2012م، ص325).

المطلب الثاني: أهم قرارات المجمع

أصدر المجمع عشرين قانوناً (كسّاب، 1998م، ص41-100، رستم،2021م،221/1) تعالج شؤون الكنائس، وتنظم إدارتها وصلاحيات أساقفتها وتبين أسس العمل والتنظيمات الداخلية، ورغم أهمية القوانين في تنظيم العلاقات بين الكنائس وداخلها، إلا أن أهمها قانون البت في الخلاف الذي أثاره آريوس، والمتعلق بنفي ألوهية المسيح – عليه السلام –، وهو ما عُرف بقانون الإيمان النيقاوي، وجاء فيه ما نصه:" نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق كل شيء، ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب، ومن جوهر الآب، إله (يلاحظ أنَّ وصف القوم للمسيح في هذا القانون: بالإله وابن الله – تعالى الله عن ذلك – ليتطور في مرحلة لاحقة إلى كونه الله الكلمة) من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء،... وكل من يقول أنَّه كان وقت لم يكن فيه ابن الله، أو أنَّه قبل أن يولد لم يكن، أو أنَّه خُلق من عدم، أو أنَّه من جوهر يختلف عن جوهر الآب أو طبيعته، أو أنَّه مخلوق، أو أنَّه عرضة للتغير والتبدل، فالكنيسة الرسولية الجامعة تبسل كل من يقول هذه الأقوال".(كسّاب، 1998م، ص43).

واجتهد الذين قالوا بالمساواة في الجوهر بين الآب والابن، أي بين الله والإله الابن بزعمهم، في اختيار لفظة تؤدي المعنى بدقة ولا يتطرق إليها الاحتمال، فوقع اختيارهم على لفظة يونانية غير كتابية، تقدمت الإشارة إليها، وهي لفظة (هوموووسيوس)، وبرز في هذا الموضوع

أصغر القوم وهو الشماس أثناسيوس، (ولد بالإسكندرية، لأبوين وثنيين 296م، تولى بطريركية كنيسة الإسكندرية إثر وفاة البطريرك الإسكندر326م، الذي سبق أن عينه كبير الشماسة بالكنيسة سنة 319م، وحضر مجمع نيقية بهذه الصفة، اتهمه الآريوسيون بالزنا، توفي373م. يوحنا، 1977م، ص116– 140) من كنيسة الإسكندرية، ووقع القانون أسيوس الأسباني رئيس المجمع ثم سائر الأساقفة، ولم يوقع افسابيوس ولا ناوغيتوس أسقف نيقية الحكم على آريوس، فصدر الأمر بنفيهما، ونفى الإمبراطور آريوس مع كل أتباعه وأمر بحرق مؤلفاته ومؤلفات مشايعيه.(كسّاب، 1998م، ص43).

وما يثير الاستغراب الدور الذي قام به أصغر القوم في هذا المجمع وهو الشماس أثناسيوس، المرافق لأسقف كنيسة الإسكندرية، وهذا الشماس تزعَّم القلة المنادية بألوهية المسيح – عليه السلام –، وقد سبق الاعتراض على حضوره المجمع لصغر سنه، فهو لم يتجاوز آنذاك الخمس والعشرين سنة، إلا أنَّ الإمبراطور تجاهل الاعتراض (يوحنا، 1977م، ص192،193)، ثم يصبح الرأي الذي دافع عنه هو الرأي الأرثوذكسي (الأرثوذكسية: "الإيمان المستقيم"، وهي مجموعة العقائد المعتبرة رسمياً صحيحة ومستقيمة. هيل.2012م. ص354) الحق، ويُلزم أكابر الأساقفة بقبوله والتوقيع عليه، ولا يفسر هذا إلا تدخل سطوة السلطان وميوله.

كما يثير التساؤل المعايير التي اختار بناءً عليها الإمبراطور الثلاثمئة وثمانية عشر من المشاركين في المجمع للبت في الموضوع بعد طول جدال، ولم تذكر المصادر التي اطلعت عليها أو تشير إلى كيفية تقريرهم ألوهية المسيح ومساواته للآب في الجوهر، ولا طُرق الاستدلال لما قرروه، ولا أدلتهم النقلية أو العقلية في ذلك، واقتصر الأمر على تحري اللفظ الذي يبين بدقة مسألة المساواة في الجوهر، بين الآب والابن.

"ويمكن القول أنَّ الإمبراطور أقام حساباته على أساس أن المجمع سوف يتفق على صيغة مقبولة، ولما تعذر فإنَّه قرر تحت تأثير هوسيوس أن يجبر المجتمعين على قبول الصيغة التي اتفق عليها هذا الأخير مع إسكندر. لقد جاء الآريوسيون إلى المجمع وهم على ثقة من النصر، فلقد كان أسقف نيقية نفسه في جانبهم لكن إرادة الإمبراطور قررت الأمر ...".(عبد الوهاب ا، 1987م، ص 19) .

والملاحظ أنَّ الإمبراطور تصرف بصفته السياسية، وحرصه على الاستقرار ومنع إثارة القلاقل والفتن بين رعايا الإمبراطورية، لا بصفته مسيحياً يهمه تثبيت العقيدة المسيحية الصحيحة (ديورانت، 1998م، 387/11)، يظهر موقف الإمبراطور من الخلاف وموضوعه قوله: " لقد اقترحت أن أَرُدَّ جميع آراء الناس في الله إلى واحد، لأني قوي الاعتقاد بأني إذا استطعت أن أوحد آراءهم في هذا الموضوع سهل علي كثيراً تصريف الشؤون العامة،... ويبدو لي أن سبب

الخلاف بينكما [بين آريوس وألكسندر] صغير تافه غير جدير بأن يثير هذا النزاع الشديد".(ديورانت، 1998م، 393/11).

كما أن الإمبراطور " كان جاهلاً بالأمور الدينية المسيحية، فضلاً عن ولائه لوثنيته – رغم اعترافه بالمسيحية في مرسوم ميلانو 313م – إذ لم يُعمّد كمسيحي إلا وهو على فراش الموت،..."،(عبد الهادي،2016م، ص24).

"وختم المجمع أعماله في التاسع عشر من خزيران السنة 325 ووافق هذا التاريخ أو كاد يوافق إكمال السنة العشرين لتسلم قسطنطين أَزمة الحكم . فدعا الإمبراطور الأساقفة إلى مأدبة كبيرة في قصره، ثم حضر حفلة الختام وألقى فيه كلمة، حض بها الأساقفة على التفاهم والسلم والمحبة، وعلى التعاضد في نشر الإيمان بين الوثنيين". (رستم،2021م:232/1).

المطلب الثالث: نتائج خلاف المجمع مع الآريسيين

يظهر للمتأمل أن العقائد الدينية والتصورات الفكرية لا أثر للإكراه فيها، ولهذا يلزم الإقناع بالدليل والبرهان لتصحيح تصورات وقناعات من يحاورك، إذ لا سلطان على ضمائر الناس وسرائرهم إلا تحري الحق وبيانه على الوجه الذي يجعله واضحاً جلياً في تصور محاورك.

و"لم ينجح مجمع نيقية الأول المنعقد عام 325م في حسم الخلافات بين الأصوليين الأرثوذكسيين وبين المهرطقين الأريوسيين. ولذلك كان من الطبيعي أن تظهر هذه الخلافات من جديد وخاصة لأن كثيرين من أتباع أريوس وعلى رأسهم يوسابيوس أسقف نيقوميدية أنكروا الأريوسية دون اقتناع حقيقي من جانبهم، بل مجاراة للأوضاع القائمة واستجابة لرغبات الإمبراطور قسطنطين". (عوض، 1997م، ص77).

والعقيدة التي قررها المجتمعون بقصد رفع الخلاف، لم تحقق المقصد المأمول منها، واستمر كل أسقف يُعلِّم رعايا كنيسته، حسب رأيه واجتهاده، وغلب مذهب آريوس على كنائس القسطنطينية وأنطاكية وبابل والإسكندرية، (ابن البطريق، 1905م: ص 135) وقد وصف أحدهم الحال بعد المجمع بقوله: "... فقد رجع الأساقفة بعد مجمع نيقية إلى أبرشياتهم والقسوس إلى كنائسهم، وبدأ كل منهم يُعلِّم ما كان يُعلِّم به قبلاً". (الخضري، 1998م، 643/1).

"ولم يستسلم الآريوسيون إلى العقيدة التي فرضها الإمبراطور قسطنطين باسم مجمع نيقية ولكنهم صمموا على المقاومة حتى استطاعوا في عام 328 جعل الإمبراطور يعيد أريوس وأشياعه إلى كنائسهم"، (عبد الوهاب ا، 1980م، ص21) وانتشرت تعاليم آريوس بعد موته وكثر أتباعه، وبقيت في أسبانيا والولايات الجرمانية أكثر من 300 سنة، (يوحنا، 1977م، ص210) " وأما بريطانيا فلم تمتد فيها سطوتها إلا بعد انعقاد المجمع الانطاكي سنة363م وفي

أيام ثيوديسيوس الثاني (ثيودوسيوس الثاني حاكم الأمبراطورية الرومانية في الشرق من سنة 408 م حتى 450 م، حفيد ثيودوسيوس الأول. موسوعة ويكيبيديا، محررو الموسوعة، ثيودوسيوس الثاني. 3. 8 .2024م، 9.10م) صدر أمر باستئصال الاريوسية وإبادتها بموجب قانون تقرر في السلطنة الرومانية وذلك سنة 428م ...". (يوحنا، 1977م، ص210).

يلاحظ أن التدابير التي أُتُّخِذْتِ تجاه آريوس والآريوسية؛ في المرة الأولى ما ترتب عن المجمع المسكوني الأول سنة 325م، وهو الحرمان والمنع وتحرّيق الكتب، وفي المرة الثانية ما عبر عنه الكاتب بالإبادة، وهذا في مسألة عقدية كان الأولى استعمال الدليل والحجة في تفنيدها وإبطال القول بها، وهذا يؤشر على ضعف المعتقد الذي قال به رجال الكنيسة ومن ولاهم من المتنفذين وأصحاب السلطة.

و"يقر جُلّ مؤرخي المسيحية، أنَّ الاعتقاد بألوهية المسيح لم يصبح عقيدة مستقرّة وسائدة بين المسيحيين، إلا بعد انقضاء عصر الحوريين والتلاميذ الأوائل للمسيح، أي بعد انقضاء قرن على الأقل على انتقال المسيح ورفعه".(باول، 2003م، ص 30) أي أنَّ عقيدة المسيح – عليه السلام – وحواريوه وأتباعه في القرن الأول كانت التوحيد الخالص، وهذا ظاهر نصوص الأسفار المسيحية.

فحص ما قرره رجال الكنيسة في مجمعهم الأول سنة325م، يكشف حقيقة ما ذهبوا إليه بقولهم بألوهية المسيح – عليه السلام – وذلك بتجسد الإله الابن أو (الكلمة) في شخصه، ونقد هذه الدعوى يقوم على أمرين: الأول: نقدها على أساس عقلي تاريخي، والثاني: نقدها مما ورد في نصوص الأسفار المسيحية، وذلك بإيجاز يفي بالغرض، باعتبار أن تفنيد دعواهم ورد في ثنايا هذا البحث.

الأول: لاقت عقيدة التجسد إنكاراً شديداً من كثير من الباحثين المسيحيين، أشهرهم سبعة من أساتذة اللاهوت البريطانيين، (هم: Don Cuppitt محاضر إلهيات جامعة كمبردج، Michael Goulder محاضر في اللاهوت جامعة بيرمنغهام،John Hick بروفسور في اللاهوت جامعة بيرمنغهام،Leslie Houlden محاضر في الأناجيل جامعة لندن، Dennis Nineham مدير كلية كيبل أكسفورد، Maurice Wiles بروفسور الإلهيات والكتاب المقدس جامعة أكسفورد،Frances Young محاضرة في دراسة الأناجيل جامعة بيرمنغهام. هِكْ.1985م، ص5) مؤلفي كتاب: "أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح"، (هذا الكتاب من أقدم الدراسات الحديثة في تاريخ المسيحية، حيث كان صدوره الأول في القرن التاسع عشر الميلادي سنة 1860م).

يرى المؤلفون أنَّ المسيح حسب الكتاب الخامس للعهد الجديد (المراد "سفر أعمال الرسل"، السفر الخامس في العهد الجديد، الذي هو بمثابة كتاب سيرة الحواريين، وتتلمذهم على المسيح– عليه السلام–) إنسان اختاره الله لدور خاص، والاعتقاد المتأخر بأنه إله متجسد، ما هو إلا أسلوب أسطوري أو شاعري، أراد به القوم التعبير عن أهميته، وعلى هذا يرون وجوب أن تشهد عقيدة التجسد تطوراً يتفق مع ما كشفته البحوث حول هذه العقيدة، (هِكْ.1985م،ص23، 24) أي العودة إلى الاعتقاد في شخص المسيح – عليه السلام – إلى حقيقته وهو ما تصرح به عدد من نصوص الأسفار.

والبحوث تثير عدة أسئلة حول عقيدة التجسد ....، وأول هذه الأسئلة: هل من الممكن وجود مسيحية بدون تجسد؟(هِكْ، 1985م، ص27) ويرى موريس وَايْلْز(Maurice Wiles) أنَّ البيئة كان لها دور في ظهور عقيدة التجسد، (هِكْ. 1985م، ص31) وأنَّ "التجسد بمعناه الصحيح الكامل غير مذكور بصورة مباشرة في الأسفار المقدسة".(هِكْ، 1985م، ص30) وقد توصلت فرنسيس يُونغ (Frances Young) في بحث لها عنونته بـ"سحابة من الشهود"، توصلت إلى عدة نتائج لعل أهمها، أنَّ الأناجيل لا تقدم معلومات مباشرة من الوحي عن ألوهية يسوع. (هِكْ، 1985م، ص44–49).

الثاني: القول بتجسد الإله الابن في شخص المسيح – عليه السلام – يصادم نصوصاً صريحةً في نفي التجسد، وإثبات بشرية عيسى – عليه السلام –، وكونه بشراً رسولاً، شأنه شأن غيره من الرسل – عليهم السلام – أجمعين، فقد جاء في سفر العدد من الكتاب المقدس عند المسيحيين ما نصه: "ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم"(19:23)، وورد في إنجيل يوحنا، على لسان يسوع المسيح: "ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله"(40:8).

و"منذ ظهر المسيح إلى الآن، يوجد بين المسيحيين أفراداً أو جماعات توحيدية ترفض الثالوث رفضاً تاماً، وتؤمن بالله الواحد الأحد، وتؤمن بالمسيح مجرد إنسان مخلوق أكرمه الله بالعطاء الإلهي. ويرفض هؤلاء كل خلط بين الله والمسيح،...". (عبدالوهاب ب، 1980م، ص55).

روى ابن عباس عن أبي سفيان رضي الله عنهم: دعا هرقل بكتاب رسول صلى الله عليه وسلم فقرأه: "بسم الله الرحمن الرحيم، مِنْ محمدٍ عبدِ اللهِ ورَسولِه إلى هِرَقْلَ عظِيمِ الرُّوم. سَلامٌ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى. أمّا بعدُ، فإنِّي أدْعُوكَ بدِعايةِ الإسْلام، أسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤتِكَ اللهُ أجْرَكَ مَرَّتين. فإنْ تَوَلَّيْتَ فإنَّ عليك إثمَ الأرِيسِيِّين، و﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا

نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾، (آل عمران64). (البخاري، 2010م، كتاب بدء الوحي، حديث رقم 7، ص58).

الآريوسيون في هذه الرسالة هم الفلاحون والخدم، وقيل هم من قرية الأروسية، أهلها موحدون لله ويقرون برسالة عيسى وعبوديته، وقيل أريس اسم رئيس لهم نُسبوا إليه، (الحنفي، 207/1) ويمكن الجمع بين هذه الأقوال، بأن العقيدة الآريوسية انتشرت في طبقات عدة ومنها طبقة الفلاحين والخدم من رعايا الدولة الرومانية، وأن السلطات الرومانية بتحريض من الكنيسة حاربت هذه العقيدة رغم أصالتها وأحقيتها، وفرضت على رعاياها المسيحيين ما ذهبت إليه جماعة من رجال الكنيسة من القول بألوهية عيسى- عليه السلام -، وعلى هذا يتحمل الحكام الرومان وزر الانحراف عن العقيدة المسيحية الأصيلة.

الخاتمة:

أهم النتائج والتوصيات، مما تقدم عرضه ومناقشته تم استنتاج الآتي:

1.إن دعوة آريوس إلى عقيدة التوحيد، سار فيها آريوس على نهج من سبقه من الموحِدين المسيحيين.

2. الديانة المسيحية دعوة توحيدية، وهذا ثابت من نصوص أسفارها رغم ما لحق بها من تصرف، والآريوسية بصفتها دعوة مسيحية توحيدية كان لها أتباع في مختلف أنحاء الإمبراطورية الرومانية، رغم محاولة خصومها التهوين من شأنها، وإظهارها بمظهر عمل فردي يتعلق بشخص آريوس.

3. أظهر البحث أن دعوة آريوس التوحيدية هي أقرب إلى العقيدة المسيحية. التي دعا إليها عيسى – عليه السلام – من دعوى ألوهية المسيح، الذي قال بها رجال الكنيسة.

4. كشف البحث أن تدخل السلطة السياسية في الشأن الديني، هو السبب الرئيسي للقضاء على الآريوسية رغم أحقيتها.

5. كشف البحث شدة الصراع بين رجال الكنيسة في عصور المسيحية الأولى، وهذا يظهر قوة دعوة آريوس رغم استغلال مخالفوه نفوذ السلطان في فرض آرائهم واجتهاداتهم.

6.أظهر البحث جهل الإمبراطور قسطنطين بالديانة المسيحية، وتقديمه للجانب السياسي على الدين.

7. يظهر في اللاهوت المسيحي الخلط بين كلمة الله في اصطلاحهم والإله الابن وبين شخص المسيح – عليه السلام – التاريخي، ووجوده كإنسان في عالم الناس، ولعل هذا منُ تأثيرات الفلسفة الإفلاطونية المحدثة، التي تقول بنظرية الفيض أو الصدور، وهذا لم يسلم منه آريوس فيما يتعلق بالكلمة، إن لم يكن من تخرصات خصومه على دعوته.

وفي ختام هذا البحث أوصي الباحثين في بلادي بضرورة الاهتمام بدراسة تراث بلادنا الحضاري والعلمي كل في مجال تخصصه، وذلك لوفرة التراث الحضاري لبلادنا، التي عاشت فترات تاريخية زاخرة بالعطاء والمشاركة في حضارات حوض البحر الأبيض المتوسط، والعمل على تأكيد هوية بلادنا الحضارية، وإظهار دور الليبيين في بناء الحضارة الإنسانية، وتوظيف موروثنا في النهوض ببلادنا.

كشف المصادر والمراجع

أولاً: **القرآن الكريم**. برواية حفص عن عاصم. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس. ليبيا.

ثانيا: المؤلفات

– ابن تيمية، أحمد، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: عادل بن سعد، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر، 2002م.

– أفندي، نوفل، سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، طبع في بيروت، لبنان،1876 م.

– باللين، كاميلو، تاريخ الكنيسة من فجر التاريخ إلى نهاية القرن الخامس عشر، 2004م، دار شرقيات للنشر، القاهرة، مصر، ط1.

باول، إينوك، تطور الإنجيل، ترجمة: أحمد ايبش.دار قتيبة، بيروت، لبنان، الطبعة1، 1424 هـ2003م.

– البخاري، محمد بن أسماعيل، صحيح البخاري، (الموسوعة الحديثية)، اعتنى به: عز الدين صلي– عماد الطيار– ياسر حسن، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1،2010م.

– ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، 1905م.

– البعلبكي، منير، معجم أعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.

– جورج، اثناسيوس فهمي، سيرة البابا ألكسندروس البابا 19، سلسلة آباء الكنيسة، دبلن، أيرلندا، 2005م.

– الحمصي، محمد حسن، تفسير وبيان مفرطات القرآن، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان.

– الحنفي، عبد النعم، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، الطبعة3، 2010م..

– الحنفي، يوسف بن موسى (ت474هـ)، المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، عالم الكتاب، بيروت، لبنان.

– خالد، حسن، موقف الإسلام من الوثنية اليهودية والنصرانية، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.

– الخضري، حنا جرجس، تاريخ الفكر المسيحي، دار الثقافة، القاهرة، مصر، كندل،2005م،1998م.

– خليل، نور الدين، قاموس الأديان الكبرى الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، إنجليزي عربي01،
مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع، 2010م..
– ديورانت، وول وايريْل، قصة الحضارة،،ترجمة: محمد بدران، منظمة التربية والثقافة والعلوم العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1419هـ. 1998م
– شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط7، 1983م.
– عبد الهادي، عبد الباقي السيد، الآريوسية في مصر خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 2016م.
– عبد الوهاب، أحمد، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1987م.
– عبد الوهاب، أحمد، طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1400هـ 1980م.
– عبدالوهاب، أحمد، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط2، 1408هـ 1988م.
– عوض، رمسيس، الهرطقة في الغرب، سينا للنشر، القاهرة، مصر، ط1997،1م.
– غرديه، لويس، ج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1997م.
– القيصري، يوسابيوس، تاريخ الكنيسة، ترجمة: مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة، مصر،1998م.
– الكتاب المقدس (عند المسيحيين). إصدار دار الكتاب المقدس في مصر، الإصدار الرابع، ط7. 2011م.
– كسّاب، حنانيا إلياس، مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة، منشورات النور، بيروت، لبنان، ط2، 1998م.
الكلّام، يوسف، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التقنين والتقديس، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، الطبعة1، 2009م.
كندل، ر.ت، كيف نفهم علم اللاهوت؟، ترجمة: منيس عبد النور، P.T.W للترجمة والنشر، 2005م.

– أبو زهرة، محمد، دراسات في الأديان، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط3، 1381هـ1961م.

– نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، تحرير: عبد الملك، بطرس و جون طمسن وإبراهيم، مطر قاموس الكتاب المقدس،دار مكتبة العائلة، القاهرة، مصر، ط14، 2005م.

– هِكْ، جون، أسطورة تَجَسُّدِ الألة في السيد المسيح، ترجمة: نبيل صبحي، الكويت، دار القلم.ط1، 1405هـ1985م.

الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة2، 1424هـ 2003م.

– هيل، جوناثان، تاريخ الفكر المسيحي، ترجمة: سليم إسكندر، مكتبة دار الكلمة، القاهرة، مصر، ط1، 2012م.

– وافي، علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، نهضة مصر، القاهرة، مصر، ط2. 2001م،

– يوحنا، منسى، تاريخ الكنسة القبطية، مكتبة المحبة، القاهرة، مصر، 1977م.

ثالثاً: الدوريات:

– رأفت، عبد الحميد، اغتيال آريوس، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة، العدد19، 1996م.

– متولي، تامر محمد، أثر خلاف آريوس على نص العهد الجديد، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، المجلد 3 العدد 22، 2014م.

رابعاً: شبكة المعلومات الدولية:

– رستم، أسد، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، مؤسسة هنداوي،2021م. الموقع: Hindawi.org

– موسوعة ويكيبيديا، محررو الموسوعة.\

– موقع المعرفة.